



[yehiatrakhawy@hotmail.com](mailto:yehiatrakhawy@hotmail.com)

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

### استهلال:

نواصل اليوم هذا النشر المتقطع من هذا الكتاب وآمل أن نُقرأ نشرة أمس قبل متابعة نشرة اليوم التي سنقدم فيها ما تيسر من الفصل الرابع.

### يحيى

### الفصل الرابع

### التركيب الأسري والطفولة الباكرة (3)

.....

.....

عودة إلى أوائل الدراسة الطولية:

أولاً: فترة الرضاعة والطفولة الأولى

قد يبدو غريباً أن نرجع بتاريخ المريض - ليس بنفس الترتيب الزمني تماماً: إلى منذ أن كان فكرة في ولدى والديه، ولكنه أمر متصل بطبيعة هذا التخصص الذي يبدأ من البداية وما قبل البداية:



فعلى الفاحص (الطبيب) أن يستقصى إن كان المريض كان مرغوباً في ولادته أصلاً أم جاء بالصدفة أم كان فائضاً لأن الحاجة بعد استكفاء الوالدين بمن أنجبوا، ومن ذلك مثلاً: هل جاء بالرغم من تنظيم النسل؟ هل كان جنسه (ولد/بنت) هو المطلوب؟ وهل كان الحمل والولادة طبيعيين؟ كما يُسأل لأن المضاعفات التي حدثت أثناء الحمل والولادة إن كان قد نَمى إلى لَمه شيء من هذا القبيل، وذلك بارتباط كل هذا بما يمكن أن يصيب الشخص لاحقاً، بما هو مرض نفسي.

### التحديث:

من البديهي أن المريض - صغيراً أو كبيراً - يمكن أن يجيب إجابة موضوعية عن هذه الفترة،

قد يبدو غريباً أن نرجع بتاريخ المريض - ليس بنفس الترتيب الزمني تماماً: إلى منذ أن كان فكرة في وعي والديه، ولكنه أمر متصل بطبيعة هذا التخصص الذي يبدأ من البداية وما قبل البداية

على الفاحص (الطبيب) أن يستقصى إن كان المريض كان مرغوباً في ولادته أصلاً أم جاء بالصدفة أم كان فائضاً عن الحاجة بعد استكفاء الوالدين بمن أنجبوا

إن خبرة الولادة ذاتها تحمل في طياتها فرصة "إعادة ولادة الأم نفسها، باعتبارها "أزمة نمو متميزة"

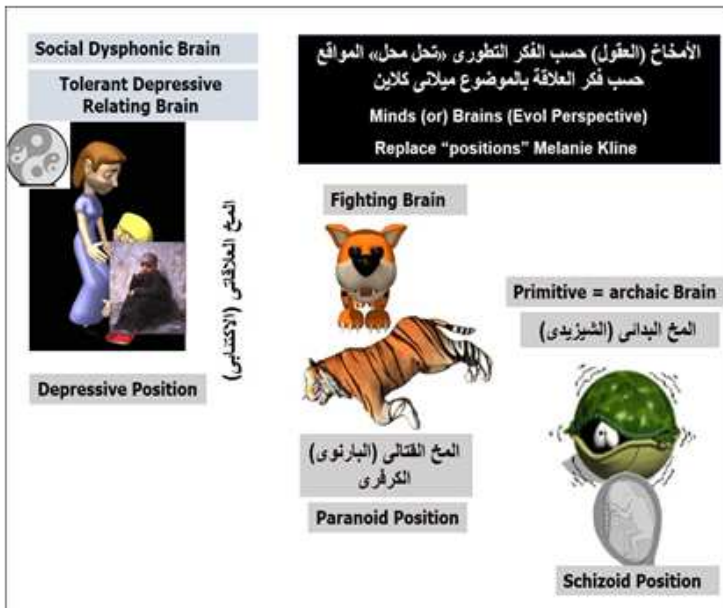
وعادة ما نكتفى بالمعلومات المتاحة من الأم أساسا، ومن الأب نادرا، أو من أخت أو مرافق في مقام الأم، و[] تؤخذ أقوال الأم قضية مسلمة، ليس فقط احتراما لحدود ذاكرتها، ولكن أيضا أساسا لأنها مشاركة أساسية في قدوم طفلها ثم في رعايته إيجابا وسلبا، بل إن خبرة الوالدة ذاتها تحمل في طياتها فرصة "إعادة ولاة الأم نفسها، باعتبارها "أزمة نمو متميزة".

وثمة طقوس شعبية (مصرية أو عربية) بالغة الدلالة تحيط الأم برعاية خاصة وهي تشد وعيها بهذه النقلة بين الداخل والخارج، بين الحامل والأم، ومن أهم هذه الطقوس احتفالية "السبوع". وأحسب أن لهذه الاحتفالية "السبوع" (2) دلالات خاصة في مجتمعنا، وكيف أنها جميعها تقريبا تخدم شذ وعى الأم بأن "من" كان جزءا منها (بداخلها) أصبح كيانا منفصلا عنها، وهو مازال يحتاجها تماما تماما، ولكن بشكل آخر، وتدرج آخر.



والأم، مثل كل أم (حتى قبل مرحلة البشر)، [] تحتاج تعليمات لتقوم بدورها النمائي والوقائي كما يرسمه النفسيون وغير النفسيين، فغريزتها الطبيعية - ما لم تكن قد تشوهت - قادرة على رعاية طفلها بفطرة سلسلة إيجابية بناءة، لأنها غريزة نابعة من برامج حياتية تطورية أساسية عبر تاريخ الحياة كلها، [] تحتاج إلى توجيه أو إرشاد، لكن الواقع وظروف الأم، قد يحول أي من ذلك دون قيامها بدورها الطبيعي تلقائيا .

أما عن طبيعة هذه الفترة وحقيقة دور الأم في التهيئة للنمو السلس السليم أو في تثبيت يعرض طفلها لصعوبات [] حقة ومرض محتمل، فقد سبق أن تناولت د[]لته ناقداً المبالغة في إعطاء أهمية خاصة لهذه العلاقة في هذه الفترة، تناولت ذلك بتفاصيل ناقدة لفروض "مدرسة العلاقة بالموضوع" وخاصة بالنسبة لتركيز هذه المدرسة على دور الأم في السماح لطفلها بالانتقال من الرحم إلى مواقع النمو المتتابعة تبعا لنوع علاقتها به وعلاقته بها، ومدى نضجها الذي يسمح أو [] يسمح بسلامة هذه الرحلة الأساسية الرائعة، ولن نعيد هنا نقدنا لهذا التركيز، وكيف أن هذا النقد كان هو المنطلق لرفضى فكرة "الموقع position"، وأن يحل محلها مصطلح "الطور (3) stage"



أحسب أن لهذه الاحتفالية "السبوع" (2) دلالات خاصة في مجتمعنا، وكيف أنها جميعها تقريبا تخدم شذ وعى الأم بأن "من" كان جزءا منها (بداخلها) أصبح كيانا منفصلا عنها، وهو مازال يحتاجها تماما تماما، ولكن بشكل آخر، وتدرج آخر.

الأم، مثل كل أم (حتى قبل مرحلة البشر)، لا تحتاج تعليمات لتقوم بدورها النمائي والوقائي كما يرسمه النفسيون وغير النفسيين، فغريزتها الطبيعية - ما لم تكن قد تشوهت - قادرة على رعاية طفلها بفطرة سلسلة إيجابية بناءة

أن هذه الأطوار (لا المواقف) لا تبدأ من علاقة الطفل بأمه، وإنما هي منزرعة في تركيبه التطوري البيولوجي الممتد في تاريخ الحياة كلها، وأن دور الأم بظل له أهميته لكن البداية ليست منها، وإنما تقوم الأم - بفطرتها أساسا - بشحن كل طور بما يناسبه وما تقدر عليه حسب نضجها، حتى بعيداً عن وعيها، لينتقل إلى الطور التالي وهكذا

وموجز التطوير هو أن هذه الأطوار (المواقف) تبدأ من علاقة الطفل بأمه، وإنما هي منزرعة في تركيبه التطوري البيولوجي الممتد في تاريخ الحياة كلها، وأن دور الأم يظل له أهميته لكن البداية ليست منها، وإنما تقوم الأم - بفطرتها أساساً - بشحن كل طور بما يناسبه وما تقدر عليه حسب نضجها، حتى بعيداً عن وعيها، لينتقل إلى الطور التالي وهكذا، ثم يأتي المنظور الإيقاعى فيعطى لهذه النقلة التطورية أهمية عملية أنيية:

ما دام هذا المنظور التطوري يفترض أن أثر هذه الأطوار البائدة ليست قاصرة على دور الأم، وإنما هي خاصة بمرحلة الرضاعة دون غيرها، وإنما هي أدوار مستعادة طول الوقت طول العمر من خلال نضج الإيقاعى المستمر المستمر، فبالتالى تظل المسئولية المتجددة ليست فقط مسئولية الأم ولكن مسئولية كل من يقوم بدور الراعى (41) فى المحيط كله طول الوقت، مع اعتبار كل العوامل الجينية والثقافية المحيطة من البيئية. من البديهي أننا نسال الأم - إن كانت موجودة فى المقابلة - عن أي من ذلك، بالتفصيل أو بما يشبه الاتهام، لكن انطلاق الطبيب من هذا المنطلق يقلل من المبالغة فى احتمال أن نعزو كل ما ألم بابنها أو بابنتها إلى نقص فى قدراتها التربوية، أو فى ثقافتها النفسية، أو نضجها الوجدانى، أما الفائدة الأهم فهى فى تحريك الأمل فى: "أن يصلح الدهر (ممثلاً فى المعالج وتوعية الأم) ما أفسد الدهر (ممثلاً فى الوراثة ثم أم بريئة متهمه) (15)

وما دامت الدورات تتكرر ليل نهار، وما دام الراعى الجديد مسئول عن رعيته، فالمأمول أن يصلح الدهر ما أفسد الدهر "بدوام تحسين فرص أن تكون نتائج كل نبضة نمو - من أول دورات النوم والأحلام - إيجابية .

المتن:

يستحسن الاستقصاء - ما أمكن ذلك - لآن بعض التفاصيل حول فترة الرضا: وهل كانت الرضا طبعية من ثدى الأم، أم صناعية، أم من مربية (كان زمان)، ثم لآن وقت الفطام، وطريقته (صبار؟ وصدمة مفاجئة بإحلال المر محل لبن الأم باستعمال مرارة الصبار يدهن به الثدى!!، أم تدريجياً وتحت إشراف) ولآن لآلامات النمو من حيث التسنين، وتنظيم آادات الإخراج، ولآلامات النمو الحركى وتطور نمو الكلام... إلخ.

التحديث:

برغم أن هذه المعلومات مهمة، إلا أنه ينبغى أن نبالغ فى قيمتها أو بقاء آثارها حتى تاريخ الفحص، اللهم إلا إن كانت مما يساعد على تقييم قصور أولى فى قدرات معرفية، أو ربط بعض أمراض وسمات الطفولة ببعض الأمراض التى تحدث لاحقاً، فهذا وارد، إلا أنه ينبغى أن يكون معوقاً لبذل الجهد أكثر فى اتجاه التصحيح الأشمل المناسب، وقد تظهر بعض السمات الدالة على استعداد خاص منذ لحظة الولادة دون ربطه بأى استهداف وراثى محدد. (16)

.....  
.....

(ونواصل الأسبوع القادم)

- [1] انتهيت من مراجعة أصول "الطبنفسى الإيقاعى التطورى" وهو من ثلاث كتب: وسوف نواصل النشر البيطى آملاً فى حوار، وهو (تحت الطبع) ورقياً، إلكترونياً حالياً بالموقع [www.rakhawy.net](http://www.rakhawy.net): وهذه النشرة هي استمرار لما

تظل المسئولية المتجددة ليست فقط مسئولية الأم ولكن مسئولية كل من يقوم بدور الراعى (41) فى المحيط كله طول الوقت، مع اعتبار كل العوامل الجينية والثقافية المحيطة

انطلاق الطبيب من هذا المنطلق يقلل من المبالغة فى احتمال أن نعزو كل ما ألم بابنها أو بابنتها إلى نقص فى قدراتها التربوية، أو فى ثقافتها النفسية، أو نضجها الوجدانى

الأهم فهى فى تحريك الأمل فى: "أن يصلح الدهر (ممثلاً فى المعالج وتوعية الأم) ما أفسد الدهر (ممثلاً فى الوراثة ثم أم بريئة متهمه

ما دامت الدورات تتكرر ليل نهار، وما دام الراعى الجديد مسئول عن رعيته، فالمأمول أن يصلح الدهر ما أفسد الدهر "بدوام تحسين فرص أن تكون نتائج كل نبضة نمو - من أول دورات النوم والأحلام - إيجابية

نشر من الكتاب الثاني: "المقابلة الكلينيكية: بحث علمي بمهارة فنية."

- [2] يحيى الرخاوي: نشرة الإنسان والتطور، "طقوس السُّبُوع"، وجدلية الانفصال/الاتصال "2008-1-22" www.rakhawy.net

- [3] يحيى الرخاوي: نشرة الإنسان والتطور، "الفرق بين الموقع" و"الطور" و"الموقف"، 4/6/2016 www.rakhawy.net

- [4] أصبح الاستعمال الأحدث لمن يقوم بدور الراعي منذ الطفولة هو "مانح الرعاية Caregiver" وبرغم أنه مصطلح مستورد فإن جذوره موجودة لدينا في الحديث الشريف "كل راع مسئول عن رعيته"،

- [5] وهذا يفتح الباب لمراجعة مفهوم الأم المُفْصِمة (Schizophrenogenic Mother أي سبب الفصام)، مرة أخرى: من منطلق الطب النفسي الإيقاعحيوي.

- [6] في حالة توأم متماثل، قمت بفحص أحد التوأمين مع أستاذي المرحوم أ.د. عبد العزيز عسكر وكان عمر المريض (19 سنة)، وكان يعاني من فصام خطير متمادي، في حين كان توأمه سليما تماما، وناجحا جدا في دراسته وعلاقاته، وقد حكّت لنا الأم أن المريض منذ الولادة، عذف عن الرضاعة من ثديها، وكان يزيح وجهه الناحية الأخرى واضطرت أن ترضعه صناعيا، في حين كان توأمه السليم يقبل على ثديها بشراهة وفرحة بادية منذ أول يوم بعد الولادة أيضا، وظلت الحال والفروق تزيد في نفس الاتجاه حتى ظهر الفصام على التوأم الذي كنا نفحصه، وظل الاختلاف ظاهرا ودالا ودائما

يستحسن الاستقصاء - ما أمكن ذلك - عن بعض التفاصيل حول فترة الرضاعة: وهل كانت الرضاعة طبيعية من ثدي الأم، أم صناعية، أم من مُرضعة (كان زمان)

برغم أن هذه المعلومات مهمة، إلا أنه لا ينبغي أن نبالغ في قيمتها أو بقاء آثارها حتى تاريخ الفحص، اللهم إلا إن كانت مما يساعد على تقييم قصور أولى لدى قدرات معرفية، أو ربط بعض أمراض وسامات الطفولة ببعض الأمراض التي تحدث لاحقا، فهذا وارد

إرتباط كامل النص مع المقطع:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD080522.pdf>

إرتباط كامل النص:

<https://rakhawy.net/%d9%85%d9%82%d8%aa%d8%b7%d9%81%d8%a7%d8%aa-%d9%85%d9%86-%d8%a7%d9%84%d8%b7%d8%a8%d9%86%d9%81%d8%b3%d9%89-%d8%a7%d9%84%d8%a5%d9%8a%d9%82%d8%a7%d8%b9%d8%ad%d9%8a%d9%88%d9%89-%d8%a7%d9%84%d8%aa-16/>

\*\*\*\*

## شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيقا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2021 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الصدار العاشر)

الشبكة تدخل عامها 21 من التأسيس و 19 على الوجود

21 عاما من الضج... 19 عاما من الإنجازات

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>